جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

محاضرات في البلاغة العربية

اعداد الدكتور: العزوزي حرزولي

الفرع الأول الموسم الجامعي2022/2021

أبنائي الطلبة بناتي الطالبات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

نلتقي هذا السداسي في اطار محاضرات مقياس البلاغة العربية والتي تعد من أهم العلوم في الثقافة العربية الاسلامية وتكتسي أهمية بالغة في تكوين الطالب المتخصص في اللغة العربية وآدابها وقد بذلت جهدي في التيسير وتقريب المادة ولذلك بسطت الأساليب مراعاة للظروف الاستثنائية بسبب الجائحة الصحية و ما حتمته من طرائق تدريس
وإليكم مفردات البرنامج:

المحاضرة الأولى: علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه) أ راء أهل المشرق والمغرب

المحاضرة الأولى : علم البلاغة :مفهومه ونشأته وتطور ،وفروعه /آراء أهل المشرق والمغرب

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في البلاغة

المحاضرة الثالثة الأسلوب الخبري وأضربه

المحاضرة الرابعة : الأسلوب الإنشائي وأضربه

المحاضرة الخامسة : التقديم والتأخير /الفصل والوصل

المحاضرة السادسة : الحقيقة والمجاز .وأنواع المجاز

المحاضرة السابعة : التشبيه وأضربه.

المحاضرة الثامنة : الاستعارة والكناية

المحاضرة التاسعة : المطابقة /والمقابلة

المحاضرة العاشرة : الجناس .

المحاضرة الحادية عشرة: السجع

المحاضرة الثانية عشرة: البلاغة والأسلوبية

المحاضرة الثالثة عشرة: البلاغـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة والشعريـــــــــــــــــــــــــة.

المحاضرة الرابعة عشرة: بلاغـــة الخطاب النثري.

المحاضرة الأولى

علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه)

نزل القرآن الكريم معجزا في لفظه وأسلوبه ومعناه. وكان في ذلك تحدٍّ كبير للعرب عامة ولقريش خاصة لما عُرِفَت به من بلاغة وفصاحة.

وتولّدت بسبب ذلك علوم عربية خالصة تبحث في سر هذا الإعجاز القرآني ومن هذه العلوم علم البلاغة .

فما المراد بالبلاغة وما الفرق بينها وبين الفصاحة.

أولا: البلاغة:

البلاغة لغة: من بلغ الشيءُ يبلغُ، بلوغاً وبلاغاً؛ وصل وانتهى فالمفهوم اللغوي يتحدد في الوصول والانتهاء، ومنه أيضا، بلّغتُ الرسالة: إذا أوصلتها.

فالبليغ إذن: الذي نجح في تبليغ المعنى الذي أراده.

أما اصطلاحاً: فليس للبلاغة مفهوم موحّد متفق عليه إنما هناك مجموعة تعاريف نذكر منها:

-الخليل بن أحمد (175ه) البلاغة ما قرب طرفاه، وبعدُ منتهاه"

-سأل معاويةُ صُحارًا العبدي، ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ"

-المفضل الضبي: قلت لأعرابي، ما البلاغة؟ قال الإعجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل: (الخطل= الخطأ)

ابن المعتز: هي البلوغ إلى المعنى ولم يطل سَفَر الكلام"

-جلال الدين القزويني (739ه) أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .

-أحمد الهاشمي (1943م): البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاّب، مع ملاءمة كل كلام للمواطن التي يقال فيها، والأشخاص الذين يخاطبون.

يفهم مما سبق أن البلاغة تعني وصول المعنى إلى السامع وتأثيره فيه من أقرب طريق.

وهي تعنى نجاح المتكلم في إيصال المعنى للسامع وتأثيره فيه من أقرب طريق.

لكن هل البلاغة إذن في اللفظ أم في المعنى أم فيهما معا ،ذهب الدارسون في ذلك مذاهب ثلاثة:

1- مدرسة اللفظ:

يمكن اعتبار الجاحظ شيخ هذه المدرسة، فقد شاع عنه قوله:" المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والغزالي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ وسهولة، المخرج وكثرة الماء ،الطبع = الذوق وفي صحة الطبع، وجودة السبل (الحيوان 131/3)

وتبع الجاحظ أبو هلال العسكري الذي يقول:" وليس الشأن في إيراد ذلك المعاني ... وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه..."

وكذلك ابن خلدون، ومن المحدثين أحمد حسن الزيات ...

- ويظهر أن هذا الاتجاه طفا خلال ما يعرف بعصر الضعف الأدنى وغدت البلاغة، رصفا للألفاظ دون اهتمام بالمعنى ولا عناية بالمضمون.

2- مدرسة المعنى:

هذه ليست مدرسة أو مذهبا بالمعنى الصحيح للكلمة لكنه توجه تبناه ابن جني وشرحه في كتابه "الخصائص" وردّ من خلاله على القائلين بأن العرب تعتني بالألفاظ دون المعنى. يقول:" . وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها ... فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها ..." ثم يقول:" ... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسّنوها ... فلا ترينّ أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ: بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها.

مدرسة اللفظ والمعنى معاً (مدرسة النظم)

يعد الإمام عبد القاهر الجرجاني (471ه) –رائد- هذه المدرسة دون منازع فقد حذر من الفصل بين اللفظ والمعنى، ورأى أن البلاغة في القول لا تستوي إلا بهما معا. وهذا الذي يسميه " نظما" يقول: "... وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على

ترتيبها الألفاظ في نطقك، وإنّا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها النظم وترتيب في غاية القوة والظهور" ثم يرد على القائلين بالعناية باللفظ دون المعنى فالألفاظ – في رأيه- لا تنفصل البته عن المعاني. وكذلك العكس فيقول: " .. فترى الرجل منهم (أي من الذي يقولون بالعناية بالألفاظ دون المعاني) يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه على ما أعلمناك "

هذا والرأي نفسه نجد عند معاصر الجرجاني، ابن رشيق القيرواني الذي يرى أن اللفظ لا ينفك عن المعنى. يقول " إنهما متلازمان، إذ اللفظ جسم روحه المعنى. ومن ثم كان ما يوصف به أحدهما يعد وصفا للآخر. فإذا وصف اللفظ بالغرابة أو الابتذال كان ذلك وصفا للمعنى الجائر وراءه. وكذلك الشأن في المعنى إن وصف بالوضوح أو الغموض كان ذلك وصفا للفظ الذي يعرضه ويجلوه.

والخلاصة من كل ما سبق أن البلاغة جمال ترتيب يشمل الألفاظ والمعاني معا.

الفصاحة:

تطلق في اللغة على المعنى العام فهو الإبانة والوضوح من ذلك:

3-أفصح الصبح إذا أضاء.

2-أفصح الصبي في منطقة: إذا أبان وظهر كلامه

1-قال تعالى:" (وأَخِي هَارُونُ هوَ أَفصَحُ منِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ معِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي)

أي أظهر مني قولا.

والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني هي الألفاظ البينة الظاهرة المبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء

لذلك وضع العلماء للفظة الفصيحة شروط هي:

أ-شروط اللفظة الفصيحة:

1-أن تسلم من تنافر الحروف: والحروف المتنافرة هي ما كانت متقاربة المخارج كالعين من الخاء أو الشين الظاء مثل قولهم:

للموضع الخشن "لنبات ترعاه الإبل و" النقاخ للماء العذب الصافي ...

(العخعخ/الهعخع)(الظش...الموضع الخشن)

2-أن لا تكون غريبة: واللفظة الغريبة ما كانت نادرة الاستعمال

غير مألوفة مثل: العملس للذئب والفدوكس للأسد

يظهر هذا هذا في بيت الشنفرى

دعست على غطش وبغش

3-أن لا تكون شاذة من حيث القياس الصرفي: مثل قول الشاعر:

الحمد لله العلي الأجلل ***الواحد الفرد القديم الأول

فالأجلل مخالفة للقياس والأصل "الأجل" ولا مسوغ لفك الإدغام إلا من باب الضرورة الشعرية كما في البيت

يقول المتنبي:

فإن يك بعض الناس سيفا لدولة *** ففي الناس بوقات لها وطبولُ

فبوقات: تخالف القياس. لأن جمع " بوق" أبواق وليس بوقات.

4- الكراهة في السمع: هو أن تكون الكلمة وحشية لا تقبلها الأذواق السليمة كلفظة " الجرشي" التي تعني النفس في بيت المتنبي بمدح الدولة:

مبارك الاسم أغرُّ اللقبْ *** كريم الجرشيّ شريف النسبْ

أ- شروط الكلام الفصيح:

حتى يكون الكلام فصيحا لابد من أن يسلم من العيوب الآتية:

1. تنافر الكلمات المجتمعة بأن تكون ثقيلة في النطق وثقيلة على السمع كأن تتجاوز كلمات متقاربة الحروف أو أن تكرر الكلمة الواحدة دون طائل: مثل قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر *** وليس قرب قبر حربِ قبرُ (الرجز)

وكقول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى *** معي وإذا ما لمتُه لمتُه وحدي.

2. ضعف التأليف:

وفيه يكون الكلام غير جار على سنن العربية فيخالف المشهور عند النحاة وربما مال إلى الشاذ ويحدث هذا كثيرا في الشعر، ومن ذلك قول الشاعر:

من يهتدي في الفعل ما لا يَهتدي *** في القول حتى يفعلَ الشعراءُ

أو كقول حسّان:

ولو أن المجد أخلد الدهّر واحدًا *** من الناس أبقى مجدُه الدهرَّ مطعما

والشاهد أن الضمير في مجده يعود على مطعم وهو متأخر لفظا ورتبة.

3. التعقيد اللفظي:

وفيه ترد الألفاظ غير مرتبة ترتيبا يساعد على فهم المعنى كقول المتنبي في مدح شجاع بن محمد الطائي:

أنى يكون أبا البرية آدم **** وأبوك والثقلان أنت محمد

وأصل الترتيب:

أنى يكون أبا البرية آدم *** وأبوك محمد وأنت الثقلان.

في البيت فصل بين المبتدأ والخبر. وتقديم للخبر على المبتدأ تقديما قد يدعوا إلى اللبس: من يهتدي في الفعل ما لا يهتدي

أو كقول المتنبي يمدح أبا الفضل الأنطاكي:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم *** شيمٌ على الحسَبِ الأغرّ

تقدير البيت:

افتخرت بهم شيم وهو لا يفخرون بها و شيمهم دلائلُ على الحسب الأغر (أي الأبيض الناصع)

4.التعقيد المعنوي:

وفيه يعمد المتكلم إلى استعمال تراكيب مضطربة مع ألفاظ لا توحي بالمعنى المقصود، مما يؤدي إلى الغموض في المعنى ومثال ذلك قول عباس بن الأحنف:

سأطلبُ بُعدَ الدار عنكم لتقربوا *** وتسكبُ عيناي الدموع لتجمدا

أراد أن يقول: سأبتعد عنكم لأزداد شوقا إليكم وتسكب عيناي الدموع. حتى تجمد أي حتى تتوقف عند اللقاء فرحا به وسرورا.

ووجه التعقيد في البيت أنه جعل جمود العين دليلا على الفرحة باللقاء. وهذا مخالف لما اعتادته العرب في كلامها. فلا يقال عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له: جمدت عيناك

إنما جمود العين عند العرب كناية عن عدم البكاء حالة الحزن ومنه قول الخنساء:

أعيني جودا ولا تجمدا *** ألا تبكيان لصخر الندى

لا تجمدا = أي لا تبخلا بالدموع فالمقام مقام حزن

5.كثرة التكرار للكلمة اسما كانت أو فعلا أو حرفا ...

بحيث يكون تكراراً لا طائل من ورائه مثال ذلك قول الشاعر :

لو كنت كنت كتمت السر كنت كما *** كنّا وكنت ولكن ذلك لم يكن

ومن أمثلة التكرار قول الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يبتعني *** شاوٍ. مِشَلٌّ، شُلُولُ، شُلْشُلْ، شوِلُ

رفض النقاد والبلاغيون هذا البيت واتهموه بالبعد عن الفصاحة لكثرة الشينات في عجزه.

حلله المحدثون على أنه تصور بارع لحالة السكر التي يعيشها الأعشى عندما أكثر من حرف الشين (حرف تشويش) وجاءت الكلمات متعاقبة على غير المعتاد.

أو كقول الآخر :

والمد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى **** المعاشر منك إلا بالرضا

والآن ما الفرق بين البلاغة والفصاحة؟ وما العلاقة بينهما؟ الحقيقة أن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا كان فصيحا ولا يعقل أن نفصل أحدهما عن الآخر إذ هما متكاملان. بل ذهب كثير من العلماء إلى أنهما شيء واحد جاء في معجم الصحاح للجوهري:" البلاغة هي الفصاحة

وهذا أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين (ت395) يقول الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له ويمكن القول أن البلاغة أعمّ من الفصاحة.

المحاضرة الثانية

أثر الفرق الكلامية في البلاغة

نشأت علوم البلاغة و تطورت عبر مراحل تاريخية شأنها في ذلك شأن العلوم العربية الأخرى لكن من ميزاتها ارتباطها ببيئة المتكلمين ذلك أنّ علماء الكلام كان لهم إسهام بيّن في تطور علوم البلاغة ، فجلّ علماء البلاغة المعروفين من هذه البيئة كبشر بن المعتمر والفراء والجاحظ والرماني و القاضي الباقلاني وابن جني وعبد القاهر والزمخشري..

وهكذا أثّر هؤلاء بمنطلقاتهم الفكرية في البلاغة، بل من الباحثين مَن يرى أنه بظهور نظرية الصِّرفة التي جاء بها إبراهيم بن سيّار النظّام (ت 231ه) وجّه" العلماء عنايتهم إلى ما عرف باسم "علوم البلاغة" دفاعا عن القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة الأسلوب، وبديع الإيجاز.

وكان مما حفزهم إلى ذلك مسألة البحث في إعجاز القرآن الكريم من أي جهة هو؟ أمن جهة اشتماله على مغيبات صح الإخبار بها بعد؟ أم من جهة الصرفة، وهي: صرف الله العرب عن معارضته مع يسرها عليهم تمكينا لنبيه وتصديقا له" .

ولمّا كانت الفرق الكلامية في حالة تنافس وخصومة وكانت كل فرقة تزعم أنّ في القرآن ما يؤيد وجهة نظرها فقد أمعن علماؤها وحاولوا بآليات بلاغية التدليل على مذاهبهم مما أثرى التأليف البلاغي بمؤلفات عديدة في ما عرف بعد ذلك بعلوم المعاني والبيان والبديع

ومن أشهر الفرق الكلامية "المعتزلة" فقد كان اهتمام أتباعها بالبلاغة نابعا من اهتمامهم بالقران الكريم وإعجازه والدفاع عن أرائهم ونشرها بين الناس ،وقد نقل الجاحظ عن عمرو بن عبيد في تعريف البلاغة:" إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب"

فهم يرون في البلاغة بابا من أبواب تحصيل الأجر وعلما عظيم الفائدة فبذلوا الجهود وألفوا المصنفات

التعريف بفرقة المعتزلة:

الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض

أما المعتزلة في الاصطلاح: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري

والمعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد كان للمعتزلة مساهمة كبيرة في البلاغة العربية في طور نشأتها وتطورها يقول الجاحظ "لأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء. وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكلّ خلف، وقدوة لكل تابع" فقد كان لمكانتهم المرموقة تأثيره المهم في التأليف البلاغي.

المجاز عند المعتزلة:

من أهم القضايا البلاغية التي عالجها المعتزلة قضية الإعجاز القرآني وقضية اللفظ والمعنى وقضية المجاز والتي تعد من أبرز ما عُرف به المعتزلة هي قولهم بخلق القرآن وتفسيرهم الخاص لصفات الله عزَّ وجلَّ بخلاف ما عُرف عند الأمة ولذلك كان يتأولون الآيات التي تظهر خلاف رأيهم ودرسوا المجاز دراسة عميقة وغالوا في ذلك يقول ابن جني " وهو معتزلي": اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة "

لعل أول ظهور لمصطلح المجاز برز على يدي أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210ه) لكنه استعمله بمعنى التفسير أمَّا المجاز بمفهومه المعروف في البلاغة فقد تبلور على يد الجاحظ فهو الذي جعله قسيما للحقيقة

فمدار معاركهم الفكرية بينهم وبين مخالفيهم كان المجاز أهم ركائزه ، فلا غرو أن نرى ابن قتيبة ت276هـ إمام أهل السنة في زمانه يتصدى لهم ويرد مغالاتهم في الأخذ بالمجاز في القرآن الكريم

فمن ذلك مثلا تفسيرهم للآيات والأحاديث المتعلّقة بالصفات الإلهية وكلام الله عزّ وجلّ إذ يظهر بجلاء مغالاتهم في الأخذ بالمجاز بما يوافق أصولهم الاعتزالية كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح 10 ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة 115﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾طه39 ...

في هذه البيئة أقبل البلاغيون على دراسة لغة العرب دراسة وافية حتى ذاع بين الدارسين أنّ البلاغة نمت في حجور المعتزلة ولعل ذلك عائد إلى كثرة العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في الدرس البلاغي ومعرفة عميقة بأساليب البيان بل يعدون من أكثر الطوائف إرساء لأسس البلاغة بحكم اتصالهم بالقران الكريم ومن أشهر علماء البلاغة الفراء 207ه(يميل إلى الاعتزال) وبشر بن المعتمر 210هـ والجاحظ 255هـ و أَبي الحَسَن الرماني ت 384 هـ وابن جني 392هـ والزمخشري 538هـ الذي يمثّل معجمه أساس البلاغة أنموذجا لما يوليه المعتزلة من أهمية للمجاز أما تفسيره "الكشاف" فيعد التطبيق الفعلي لنظرية النظم التي أرسى دعائمها عبد القاهر الجرجاني وينتمي أيضا لفرقة كلامية (الأشعرية).

المحاضرة الثالثة

الأسلوب الخبري وأضربه

يجدر بنا قبل دخول هذا الموضوع التعريج على علم المعاني ،ذلك أن دراسة الأسلوب الخبري وأضربه لا تتأتّى من إلّا خلال معرفة علم المعاني و"هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينا والإطناب آخر، والفصل والوصل، إلى غير ذلك مما سنذكر بعد.

فمنه نعرف مثلا:

1- أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت.

2- أن العرب تطنب إذا مدحت.

3- أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام.

فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التي يورد فيها، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال.

واضعه: أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهرة الجرجاني المتوفى سنة 471هـ فهو الذي هذب مسائله وأوضح قواعده، وقد وضع فيه الأئمة قبله نتفا كالجاحظ وأبي هلال العسكري، إلا أنهم لم يوفقوا إلى مثل ما وفق إليه ذلكم الحبر الجليل .

تعريف الخبر: هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأن له نسبة خارجية في الواقع إن طابقت كلام المتكلم كان الخبر صادقًا، وإن لم تطابقه كان الخبر كاذبًا مثل قولك مثلًا: سافر محمد. والعلم النافع. والأرض تدور حول الشمس .

أغراض الخبر الأصلية:

ذكر البلاغيون أن من يكون بصدد الإخبار ينحصر قصده بخبر هذا في أمرين:

الأول فائدة الخبر: إفادة المخاطب مضمون الخبر وفائدته، وذلك كقولك لمن لا يعلم أن والداه قد سافر: (سافر والدك) ولمن لا يعلم أن الهلال قد ظهر: (ظهر الهلال)

ولمن لا يعلم أن أخاه قد نجح: (نجح أخوك). ومثله أيضا: «أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وأقرّه عثمان مدة خلافته نحو اثنتي عشرة سنة، وتغلّب على الشام محاربا لعليّ أربع سنين، فكان أميرا وملكا على الشام نحو أربعين سنة. وكان حليما حازما، داهية عالما بسياسة الملك، وكان حلمه قاهرا لغضبه، وجوده غالبا على منعه، يصل ولا يقطع»

الثاني لازم الفائدة: إفادة المخاطب لازم فائدة الخبر: وذلك كقولك لمن حفظ القرآن الكريم: (أنت قد حفظت القرآن الكريم)، فهو يعلم أنه حفظ القرآن الكريم، ولكنك قد أفدته أنك تعلم ذلك -أيضاً -.ومن نماذجه كذلك:

إنك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك.

- وقال المتنبي مخاطبا سيف الدولة ومثنيا على شجاعته:

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى***وقد كثرت حول الوكور المطاعم

هذا هو الذي جرى عليه العرف في الإخبار بخبر ما، وذلك إذا التزم المتكلم باستعمال الجمل الخبرية في حقائقها، أما من يريد أن يستخدم الأساليب الخيرية في أفقها الأرحب فإن قصده يتعدد بتعدد الأغراض التي تدفعه إلى القول، وتحثه عليه، ولهذا فإن الخبر قد يخرج عن الغرضين الأساسيين، وهما الفائدة ولازم الفائدة إلى أغراض أخرى يقصدها البلغاء، وتتضح عن سياق الكلام، ومن ذلك:

اظهار الضعف والاسترحام:

1 قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}.

2 إن الثمانين، وبلّغتها، ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قال الشاعر وقد فَقَد ابنه :

ولمّا دعوت الصبر بعدك والأسى*** أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

فـــــــإن ينقطع منك الرجـــــاء فإنّه*** سَيبقى عليك الحُزنُ ما بقى الدهـــــــر

والاسترحام:

قوله تعالى في شأن موسى -عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص: 24) فسيدنا موسى -عليه السلام- لا يقصد إلى أن يرجو الرحمة والعطف من ربه -عز وجل. ومن هذا القبيل أيضا قول أبي نواس:

تعاظمني ذنبي فلما قرنته*** بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ومنه قول أبي الطيب المتنبي وهو في محبسه مستعطفا السلطان:

دعوتك عند انقطاع الرجاء***والموت منّي كحبل الوريد

دعوتك لما براني البـــــلاء***وأوهن رجليّ ثقل الحديـــــد

الحث على السعي:

وما نيــل المطالب بالتمني ***ولكن تؤخذ الدنيا غـــــلابا

وما استعصى على قوم منال*** إذا الإقدام كان لهم ركابا

التحسر:

ومنه قول أبي الطيب في جدّته وقد ماتت قبل أن يلقاها

أتاها كتابي بعد يأسٍ وترحةٍ *** فماتت سرورًا بي فمت بها هما

الفخر:

قول معن بن أوس في الفخر:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة *** ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها *** ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

ومنه قول أبي الطيب:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ***وأسمعت كلماتي من به صمم

- التهديد، نحو:

إذا لم تخش عاقبة الليالي *** ولم تستح فاصنع ما تشاء

أضرب الخبر:

تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث حالات هي:

أ. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردّد فيه، ولا منكر له.

في هذه الحالة يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، لعدم الحاجة إليه. ويسمّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا.

يلجأ إليه حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إيّاه خاليا،

ومثاله ما ورد في كتاب معاوية ـ ض ـ لأحد عمّاله: «لا ينبغي لنا أن نسوس النّاس سياسة واحدة، لا نلين جميعا فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتدّ جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة».

والخبر في هذه الجمل خال من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من مضمون الخبر ولذلك لم ير المتكلم حاجة

إلى توكيد الحكم له.

ب. أن يكون المخاطب متردّدا في الخبر، طالبا الوصول الى اليقين في معرفته.

في هذه الحالة يستحسن توكيد الكلام ليتمكّن من نفس المخاطب، ويطرح الخلاف والتردّد وراء ظهره. ويسمّى هذا الضرب من الخبر طلبيّا ويتضمّن وسيلة توكيد واحدة.

مثاله قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ [النَّحْل: 90] أكّد الخبر بأداة واحدة هي (إنّ).

ج. أن يكون المخاطب منكرا للخبر، معتقدا خلافه.

في هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكّد أو أكثر على حسب إنكاره قوّة وضعفا. ويسمّى هذا الضرب إنكاريا ويتضمّن أكثر من وسيلة توكيد واحدة.

ومثاله قول أبي العبّاس السفّاح: «لأعملنّ اللّين حتّى لا ينفع إلّا الشدّة، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمنتهم على العامّة، ولأغمدنّ سيفي حتّى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتّى لا أرى للعطيّة موضعا».

فالمخاطبون منكرون للحكم، رافضون القبول به، لذلك لجأ أبو العبّاس إلى استخدام وسائل التقوية والتوكيد ليدفع الشك عن نفوس المخاطبين، ويدعوهم إلى التسليم. لقد لجأ إلى لام القسم ونون التوكيد الثقيلة والنّفي بعده حصر ب (إلّا).

ومثاله أيضا قولنا: إن أخاك لقادم. فالتأكيد ب (إنّ واللام)، وإذا شعرنا أن إنكاره أقوى يمكن التأكيد بثلاث أدوات فنقول:

والله إنّه لقادم (القسم+ إنّ+ اللام).

وكما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضا، نحو:

ما الكريم بنادم على بذله

والله ما المستشير بنادم.

المحاضرة الرابعة

الأسلوب الإنشائي

الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته (1) نحو اغفر - وارحم، فلا ينسب إلى قائله صدق - أو كذب وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء «وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا تلفظت به» فطلب الفعل في «افعل» وطلب الكف في «لا تفعل» وطلب المحبوب في «التمني» وطلب الفهم في «الاستفهام» وطلب الاقبال في «النداء» كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها.

وينقسم الانشاء إلى نوعين: انشاء طلبي - وانشاء غير طلبي، «فالإنشاء غير الطلبي» ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب- ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية. (2)

(1) أما المدح والذم فيكونان: بنعم وبئس - وما جرى مجراهما نحو حبذا، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً، وخبث بكر أصلاً.

(2) وأما العقود: فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ - وأعتقتُ - وبغيره قليلا - نحو أنا بائع، وعبدي حرٌ لوجه الله تعالى.

(3) وأما القسم: فيكون: بالواو - والباء - والتاء - وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

(4) وأما التّعجب: فيكون قياساً بصيغتين، ما أفعله - وأفعل به وسماعاً بغيرهما،

نحو: لله دره عالما - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم.

(5) وأما الرجاء: فيكون: ب عسى - وحرى - واخلولق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

واعلم أن الانشاء غير الطلبي لا تبحث عند علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الاصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

وأنما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي) لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

«فالإنشاء الطلبي» هو الذي يستدعى مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء

الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل:

وأدواته: الهمزة وهل، ما، متى، أيان، كيف، أين، أنّى، كم، أي

تستعمل هذه الأدوات لطلب التصور أو التصديق.

يقصد علماء البلاغة بالتصور السؤال عن المفرد وهو خلاف الجملة ويقصدون بالتصديق السؤال عن الجملة أي عن العلاقة بين المسند والمسند إليه وعليه فإن الإجابة تكون بالنفي أو الإيجاب نحو: كيف نجحت؟ بالمثابرة والاجتهاد (تصور)

*هل تحفظ القرآن ؟ نعم (تصديق)

تنقسم أدوات الاستفهام بحسب الطلب إلى:

1-ما يطلب به التصور تارة: والتصديق تارة أخرى، وهو الهمزة

-يطلب بها التصور نحو: أنجح علي أم خالد؟ فالإجابة (خالد)

-يطلب بها التصديق نحو: أنجح علي؟ الإجابة: نعم

ملاحظة: عندما يطلب بالهمزة التصوير يجيب أن يذكر المسؤول عنه بعد الهمزة، ويجب ان يكون له معادل يذكر بعد "أم" وتسمى (متصلة) نحو "أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة" وقد يحذف المعادل مع أم نحو قوله تعالى:" أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم"

أما إذا أريد بالهمزة التصديق، فيمتنع ذكر المعادل، نحو:

أأنت الناجح؟ نعم ولا تذكر في هذا الأسلوب أم. وإن ذكرت كانت "منقطعة" بمعنى "بل" نحو قول الشاعرة قُتَيْلة بنت النَّضر بن الحارث:

هل يسمعنَّ النضر إن ناديته *** أم كيف يسمع ميت لا ينطق

2- ما يطلب به التصديق دون التصور وهو "هل" فقط.

نحو: هل قدم المسافر؟ نعم

ولذلك امتنع ذكر المعادل مع هل نحو هل قدم المسافر أم صحبه ؟

3-ما يطلب به التصور دون التصديق وهو بقية أدوات الاستفهام وهي:

ما: تستعمل مع غير العاقل كطلب:

- شرح الاسم نحو: ما اللجين؟
- حقيقة المسمى نحو : ما الإنسان؟

من: يطلب بها تعيين العقلاء نحو: من العالم فيكم؟

متى: يطلب بها تعيين الزمان ماضيا أو مستقبلا نحو: متى جئت؟ ومتى تذهب؟

أيان: يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة، وتكون في موضع التهويل نحو الآية "يسأل أيان يوم القيامة"

كيف: يستفهم بها عن الحال: كيف أنت

أين: يطلب بها تعيين المكان أين أنت

أنّى: تكون بمعنى كيف نحو:" أني يحي هذه الله بعد موتها

من أين نحو قوله تعالى: قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ

متى نحو :"أنّى تمطر السماء؟

كم: يطلب بها تعيين عدد مبهم نحو:"كم لبثتم؟

أي يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما نحو: " أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا "

وهي بحسب ما تضاف إليه سأل بها عن الزمان والمكان والحال،... أي ساعة تصل؟

أغراض الاستفهام:

من بين أغراض الاستفهام التي تخرج بها عن الغرض الأصلي:

-الأمر نحو :" فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ"

-النهي" أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "

-النفي " هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ"

-الإنكار " أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"

-التشويق "هل أدلكم لكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم"

-التهويل "الحاقة، ما الحاقة..."

-الاستبعاد" أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين"

-الاستنباط" متى نصر الله"

-التهكم والتحقير قال الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ***أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

التمني:

هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا أو بعيد المنال.

مثال الأول قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما *** فأخبره بما فعل المشيب

مثال الثاني: "

"يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ "

وللتمني أداة واحدة أصلي هي "ليت" وثلاث غير أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي وهي.

"هل" في نحو قولي تعالى:" هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا"

"لو" في نحو قوله سبحانه:" فلو أن لنا كره فنكون من المؤمنين"

"لعل" في مثل قول الشاعر:

أسرب القط هل من يعير جناحه *** لعلي إلى من قد هو هويت أطير

*أما إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا ويعبر فيه ب"عسى" و"لعل" نحو.

-"لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا"

-"فعسى الله أن يأتي بالفتح"

وقد تستعمل "ليت" في الترجي لغرض بلاغي نحو قولي أبي فراس

فليتك تحلو،والحياة مريرة*** وليتك ترضى والأنام غضاب

وهذا ليس بالمستحيل من لدن سيف الدولة المخاطب بالبيت.

كما يمكن أن تستعمل "لعل" للتمني كما أسلفنا.

النداء:

النداء ويفيد طلب المتكلم إقبال المخاطب، بحرف نائب مناب "أدعو" المنقول من الخبر الى الانشاء وادواته:

الهمزة، أي، يا، آ، آي، أيا، هيا، وا

فالهمزة وأي لنداء القريب وباقي الادوات لنداء البعيد

- وقد يعامل البعيد منزلة القريب لشدة قربه من النفس وحضور

في القلب فالمغترب ينادي وطنه "أبلادي كم اشتقت اليك"

- وقد ينزل القريب منزلة البعيد لعلو منزلته نحو:" يا مولاي!"

أو لانحطاط منزلته نحو "أيا هذا"

أغراضه: قد يخرج النداء عن معناه الاصلي الى اغراض بلاغية اخرى تحدد القرائن في السياق من ذلك

- الاغراء: عليك بها ...يا بطل.
- الاستغاثة : بالله للمسلمين
- الندبة: وامعتصماه
- التعجب: فيالك من ليل كأن نجومه..
- التحسر والتوجع: "ياليتني كنت ترابا

النهي

تعريفه: هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الالزام ، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون ب "لا" الناهية

نحو:" ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا"

أغراضه: قد يخرج النهي عن غرضه الأصلي الى أغراض بلاغية أخرى منها:

*الدعاء نحو الآية " ربنا لا تزغ قلوبنا"

*الدوام نحو قوله تعالى:" ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون"

*بيان العاقبة نحو" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتا"

*الكراهة: نحو قولك للمصلي: "لا تلتفت و أنت في الصلاة

*التوبيخ: نحو قول الشاعر أبي الأسود الدؤلي

لا تنه عن خلق وتأتي مثله*** عار عليك إذ فعلت عظيم

ملاحظة: يستخلص غرض النهي من الحكم الذي تضمنه الجملة والأصل فيه الدلالة على التحريم والحظر والمنع، والنهي في غير ذلك كالأمر يكون استعلاء من الأدنى ودعاء مع الأعلى والتماس مع النظير إضافة إلى أغراض أخرى كالإرشاد والتهديد والتيئيس

المحاضرة الخامسة

التقديم والتأخير ،الفصل والوصل

التقديم والتأخير

ما من شك أنّ للغة العربية نظاما يميزها فيحكم العلاقات بين المفردات والجمل ولا يعدل عن هذا النظام إلّا لغايات بلاغية كانت من اهتمام علم العربية مما تجلى في مباحث بلاغية منها

التقديم والتّأخير

من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة. من أجل ذلك كان لا بد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر. وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام.

وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها.

تقديم المسند إليه:

لكل كلمة موقع معيّن في الجملة العربية، فالفعل سابق الفاعل والمبتدأ سابق الخبر. هذا هو الأصل. غير أنه قد يدعو داع لنقل بعض الكلمات من اماكنها فيدعى هذا النقل بالتقديم والتأخير.

والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالا، لأنّه سبيل الى نقل المعاني في ألفاظها الى المخاطبين كما هي مرتّبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لاحساسه ومشاعره.

والمسند إليه يقدّم لأغراض بلاغيّة منها:

التشويق إلى المتأخر:

ثلاثة ليس لها إياب ... الوقت والجمالُ والشبابُ

قدم الخبر وأخر المبتدأ تشويقاً إلى المتأخر.

ولو تأملت الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم :منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال فلو سمعت الجزء الأول منهومان لا يشبعان لتاقت نفسك لمعرفتهما فإذا هما طالب علم وطالب مال

ففي الأسلوبين تقديم المسند أفاد التشويق إلى معرفة المسند إليه، والإفصاح عنه.

– تعجيل المسرّة:

لما يوحي به من تفاؤل، نحو: سعد في دارك.

3 – تعجيل المساءة:

لما يوحي به من تشاؤم، نحو: القصاص حكم به القاضي.

4 – الإنذار بخطر داهم:

نحو: العدوّ لا تغفل عن أمره.

تنبيه لنلاحظ أن ما يدعو لتقديم عنصر فبالضرورة يفضي إلى تأخير آخر

أهمية التقديم والتأخير:

لقد نوّه القدماء والمحدثون بأهمية هذا الموضوع ويكفينا أن نذكر رأي أحد أساطين البلاغة إذ يرى عبد القاهر الجرجاني: أنه باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان، غير أنه لم يجد أحداً قد اعتمد فيه شيئاً يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، فقد ظنوا أنه يكفي أن يقال في كل شيء قدم في موضع من الكلام أنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكروا من أين كانت تلك العناية ولم كان أهم؟ ولهذا صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه[33].

[33] ينظر دلائل الاعجاز ص106

الفصل والوصل

لقد أشاد البلاغيون بالفصل والوصل بل وجعلوه حدا للبلاغة فمما قيل فيه:

وهو دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعا له، ومفتقرا إليه...[34]

الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال: "هي معرفة الفصل والوصل"، ا

– ما يجب فيه الفصل (أي: عدم عطف الجملة التالية على الجملة السابقة بالواو)

وله أربع صور:

[الصورة الأولى:] أن يكون بين الجملتين ((كمال الاتصال))

ويظهر في ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن تكون التالية توكيدا للسابقة

[34] الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، بيروت،2003 ج2 ص20

– توكيد لفظي.

– توكيد معنوي

الوجه الثاني: أن تكون التالية بدلا من الجملة للسابقة

– بدل كل من كل.

– بدل بعض من كل.

– بدل اشتمال.

الوجه الثالث: أن تكون التالية عطف بيان للسابقة

[الصورة الثانية:] أن يكون بين الجملتين ((شبه كمال الاتصال)) وهذا يكون حينما تكون الجملة السابقة مما يثير في نفس المتلقي سؤالا يتردد في نفسه ولو لم يصرِّح به، فتأتي الجملة التالية لتجيب على هذا السؤال. والسؤال عن:

– سبب عام

– سبب خاص سبب

– ما غير عامّ ولا خاصّ

[الصورة الثالثة:] أن يكون بين الجملتين ((كمال انقطاع))

ويظهر في ثلاثة وجوه:

– أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى.

– أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً معنى فقط.

– أن لا يكون بين الجملتين مناسبة ولا ارتباط بين أركانهما.

[الصورة الرابعة:] أن يكون بين الجملتين ((شبه كمال انقطاع)) وهذا يكون حينما تكون الجملة التالية مسبوقة بجملتين يصحُّ عطفها على إحداهما ولا يصحّ عطفها على الأخرى لأنّه يسفد المعنى المقصود للمتكلّم.

2 – ما ينبغي فيه الوصل أو يحسن ويظهر هذا حينما تكون العلاقة بين الجملتين متوسطة تماما بين حالتي ((كمال الانقطاع وكمال الاتصال)) مع جامع يسوّغ العطف بالواو.

والجامع على رأي السّكاكي:

– عقلي.

– وهمي.

– خيالي.

من حق الجُمل: إذا ترادفت ووقع بعضها إثر بعض: أن تُربط بالواو لتكون على نسق واحد – ولكن قد يعرض لها ما يُوجب ترك الواو فيها: ويسمى هذا فصلا – ويقع في خمسة مواضع.

الأول – أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام: وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، ويسمى ذلك «كمال الاتصال»

الثاني – أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ: بدون إبهام خلاف المراد ويُسمى ذلك «كمال الانقطاع»

الثالث – أن يكون بين الجملتين رابطة قوية، ويُسمى ذلك «شبه كمال الاتصال»

الرابع – أن يكون بين الجملة الأولى والثاني (جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة) حائلة بينهما فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها» لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة» فُيترك العطف، ويسمى ذلك «شبه كمال الانقطاع»

الخامس – أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع: وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ويسمى ذلك «التوسط بين الكمالين»

مواضع الفصل: إذا ترادفت الجمل، ووقع بعضها إثر بعض ربطت بالواو العاطفة لتكون على نسق واحد. ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها إمّا لأن الجملتين متحدّتان صورة ومعنى، وإمّا لأنّهما بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

ويقع الفصل في خمسة مواضع هي:

1 – " كمال الاتصال".

وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما، بحيث تكون الجملة الثانية:

توكيدا للأولى، أو لا بد منها، أو بيانا لها. ومثاله:

– قال تعالى: فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً الطارق: 17.

فالجملة الثانية (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) توافق الجملة الأولى التي سبقتها لفظا ومعنى، وهي توكيد لفظي للأولى، وبذلك صارت الصلة قوية بينهما بحيث لا تحتاجان إلى رابط، لأنّ التوكيد من المؤكد كالشيء الواحد، لذا ترك العطف لعدم صحّة عطف الشيء على نفسه.

– وقال تعالى: وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ الشعراء: 132 – 133.

فالآية الثانية بمنزلة بدل البعض، لأنّ ما يعلّمونه يشمل ما في الجملة الثانية من النعم الأربع وغيرها من سائر النعم، ولم يعطف بين الجملتين بالواو لقوّة الربط بينهما.

– وقال تعالى: بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ* قالُوا أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ المؤمنون: 81 – 82.

الآية الثانية شارحة وموضّحة، وأوفى بتأدية المعنى من الأولى. فهي واقعة موقع بدل الكل من الأولى، ولذا ترك العطف لقوّة الربط بين الجملتين.

– وقال تعالى وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ يس: 20 – 21. فالآية الثانية بدل اشتمال من الأولى، لأنّ المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل، والثانية أوفى لأن معناها: لا تخسروا شيئا

من دنياكم وتربحوا صحّة دينكم، فيكون لكم جزاء الدنيا والآخرة، فترك العطف بين الجملتين لقوّة الربط بينهما.

– وقال تعالى وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ البقرة: 49. فصلت جملة (يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ) عن (يَسُومُونَكُمْ) لأن الثانية موضّحة للأولى فكانت بمنزلة عطف البيان، لذلك ترك العطف لقوّة الربط بينهما، لأن عطف البيان لا يعطف على متبوعه.

2 – كمال الانقطاع.

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام. وأوضح ما يكون ذلك إذا تقاطعتا:

1 – خبرا وإنشاء:

نحو وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ الحجرات: 9. فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأن الأولى (وَأَقْسِطُوا) إنشائية لفظا ومعنى،

والثانية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) خبرية لفظا ومعنى، فبينهما تباين تام وانقطاع كامل ممّا يستوجب الفصل بينهما.

2 – واختلافهما معنى:

نحو: نجح خالد وفّقه الله. فالثانية إنشائية لفظا خبرية معنى.

3 – ألّا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط:

ومثاله:

إنّما المرء بأصغريه*** كل امرئ رهن بما لديه

فلا مناسبة بين الجملة الثانية والأولى لأنّ كلّا منهما مستقلة بنفسها.

3 – شبه كمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى، حتّى لكأنّها جواب عن سؤال نشأ من الأولى.[35]

ويكون السؤال عن سبب عام كما في قوله (الخفيف):

قال لي كيف أنت قلت: عليل*** سهر دائم وحزن طويل

ويكون السؤال عن سبب خاص كقوله تعالى وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يوسف: 53. فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأنّها واقعة في جواب سؤال مقدّر، وكأنه قيل: هل النفس أمّارة بالسّوء؟ فقيل: إن النفس لأمّارة بالسوء.

وقد يفهم السؤال من السياق كقوله (الكامل):

زعم العواذل أنّني في غمرة*** صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي.

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا.

– شبه كمال الانقطاع:

[35] علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 354)

وهو أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى فيترك العطف بالمرّة، دفعا لتوهّم أنه معطوف على الثانية.

نحو:

وتظنّ سلمى أنّني أبغي بها***بدلا أراها في الضلال تهيم

فجملة (أراها) يصح عطفها على جملة (تظن) لكن يمنع من ذلك توهم العطف على جملة (أبغي بها) فتكون الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنّه غير المقصود ولهذا امتنع العطف.

5 – التوسّط بين الكمالين:

وهو أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع هو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ .. البقرة: 14. لقد فصلت جملة (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) عن جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) مع التناسب ووجود الجامع بينهما المصحح للعطف لوجود المانع، وهو أنّه لم يقصد تشريك جملة (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ) في الحكم الإعرابي، وهو أنها مفعول القول، فيقتضي ذلك أن جملة: الله يستهزئ بهم تكون من مقول المنافقين، وهي ليست كذلك بل هي من كلام الله سبحانه ولذلك فصل بينهما.

المحاضرة السادسة

الحقيقة والمجاز .وأنواع المجـــــــــاز

المجاز العقلي:

تعريفه: المجاز العقلي هو اسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر –من المتكلم– لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له .

علاقاته: من أشهر علاقات المجاز العقلي

1–الإسناد إلى الزمان: نحو من شره زمن ساءته أزمان[36]

2–الاسناد إلى المكان: قال تعالى "وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم" الأنعام

3–الاسناد إلى المصدر: عاد وقد أنهكه الترقب والانتظار.[37]

الحقيقة والمجاز
الكلام إما حقيقي أو مجازي.
[36]الكلام الحقيقي هو استعمال الألفاظ على أصلها بحسب ما وضعت له

4-اسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، نحو قول الحطئية :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها *** واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[38]

5-اسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل، نحو قوله تعالى:

"إنه كان وعده مأتيا" "وإذا قرأت القرآن جعلنا... مستورا"

المجاز اللغوي:

تعريفه: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي وينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة.

المجاز المرسل:

تعريفه: هو استعمال الكلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

فالعلاقة -المجاز المرسل- بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي غير مقيدة بالمشابهة كما في الاستعارة إنما هي علاقات متعددة.

أما القرينة هي الدليل الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي.

علاقات المجاز المرسل: وهي كثيرة نذكر منها.

---

[37]الكلام المجازي هو استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له في الأصل وينقسم إلى عقلي ولغوي.
[38]معناه ان الوصف في هذا المثال (وهو القعود) اسند إلى اسم الفاعل لكنه في الحقيقة مسند إلى اسم المفعول

1-السببية: وفيها يذكر السبب ويراد به المسبب، نحو: رعت الماشية والغيث.

2-المسببية: وفيها يذكر الكل ويراد به السبب، ومنه قوله تعالى،"وينزل لكم من السماء رزقا"

3-الكلية: يذكر الكل ويراد به الجزء" يجعلون أصابعهم آذانهم"

4-الجزئية: يذكر الجزء ويراد به الكل نحو:"...فتحرير رقبة مؤمنة"

5-اعتبار ما كان: ذكر الشيء بحسب ما كان نحو:" أسلم الكافر"

"آتوا اليتامى اموالهم" "نلبس القطن في الصيف"

6-اعتبار ما سيكون، ذكر الشيء بحسبما سيكون عليه في المستقبل نحو:"اني اراني اعصر خمرا"

7-الحالية: وفيه يذكر الشيء الحال ويقصد به المحل قال تعالى:"ففي رحمة الله هم فيها خالدون" "خذوا زينتكم عند كل مسجد" ذكر الزينة (الحال)وقصد اللباس (المحل)"

8-المحلية: وفيها يذكر المحل ويقصد الحال فيه نحو "فليدع ناديه" "واسأل القرية..."

الآلية: وفيها تذكر الآلة ويقصد الاثر الناتج عنها

نحو: "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" القصد هو:الذطر الحسن

10-العموم: وهو ان يذكر العام لكن القصد هو الخاص، قال تعالى: "أم يحسدون الناس ..." والمراد هو النبي صلى الله عليه وسلم.

11-الخصوص: وهو عكس العموم، كأن يطلق اسم الجد عل القبيلة جميعها "ربيعة -قريس ..."

12-البدلية: وفيها يذكر البدل ويراد به المبدل منه، نحو "فإذا قضيتم الصلاة" والمراد: أريتم"

13-المبدلية: يذكر المبدل منه ويراد به نحو، طالب أهل القتيل بدم ابنهم (والمراد: الدية)

14-المجاورة: وهي كون الشيء مجاورا الشيء آخر نحو: كلمت الجدار (المراد: الجالس بجواره)

15-التعلق الاشتقاقي: ومعناه استعمال صيغة اشتقاقية سكان أخرى

-كإطلاق المصدر على اسم المفعول نحو "صنع إليه الذي ..." صنع مكان مصنوع

-اطلاق اسم الفاعل على المصدر نحو "ليس لوقعتها كاذبة" "كاذبة" مكان "تكذيب"

-اطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل "حجابا مستورا" "مستورا" أي "ساترا"

-اطلاق اسم الفاعل على المفعول "لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم" "عاصم" مكان "معصوم")

الكناية:

الكناية: لغة: ما يتكلم به الإنسان ويرد به غيره

واصطلاحا: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته نحو قول امرئ القيس:

وقد اغتدي والطير في وكناتها *** بمجرد قيد الأوابد هيكل

فقولي "الطيور في وكناتها" كناية عن البكور.

ومع ذلك يجوز إرادة المعنى الحقيقي، وهذا هو الفرق بين الكناية والمجاز.

أنواع الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام

1-كناية عن صفة: نحو قول امرئ القيس السابق، ففيه الكناية عن صفة البكور.

بعيدة مهوى القرط ولهذا القسم من الكناية نوعان:

أ-كناية قريبة: وفيها يكون الانتقال إلى المعنى المراد قريبا دون وسائط كقول احدهم يصف امرأة بطول رقيبتها:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل *** أبوها وإما عبد شمس وهاشم

ب-كناية بعيدة: وفيها يكون الانتقال إلى المعنى المقصود بحاجة إلى وسائط، كقول الخنساء في صخر:

طويل النجاد رفيع العماد *** كثير الرماد إذا ماشتا

فكثرة الرماد كناية عن صفة الكرم. لأن كثرة الرماد تعني كثرة النيران التي تعني كثرة الطبخ وهذا يقتضي كثرة الضيوف.

وعكس قول الشاعر:

بيض المطابخ لا تشكو إماؤهم *** طبخ القدور ولا غسل المناديل

2-كناية عن موصوف: كقول البحتري يصف معركته مع الذئب:

وأتبعتها أخرى وأضللت نصلها *** بحيث يكون اللب والرعب والحقد

"فاللب والرعب والحقد" كناية عن القلب.

والمكني عنه يمكن أن يكون مجموعة معان تدل على شيء واحد كما في المثال السابق.

أو أن يكون معنى واحدا كقول أبي نواس:

فلما شربناها ودب دبيبها *** إلى موطن الأسرار قلت لها قفي.

ف"موطن الأسرار" معنى واحد يكنى به عن القلب[39]

3-الكناية عن نسبة: وتعني نسبة أمر إلى آخر إثباتا أو نفيا ،كقول الشاعر:

اليمن يتبع ظله *** والمجد يمشي في ركابه.

[39] يشترط في هذا القسم من الكناية أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف ولا تتعداه إلى غيره ليحصل الانتقال منها إليه.

فالشاعر في هذا البيت بدل أن يصف الممدوح بأنه ميمون الطلعة، قال إن اليمن يتبعه أينما سار، وإتباع اليمن ظله يستلزم نسبته إليه.

فكناية النسبة كما يتضح من الأمثلة السابقة تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها

إلى ما له اتصال به. وأظهر علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة كما رأينا في الأمثلة السابقة

وتتفرع هذه الكناية بالنظر إلى المنسوب إليه إلى:

أ-إما أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها، كقول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى *** في قبة ضربت على ابن الحشرج

ب- أو يكون ذو النسبة غير مذكور كقولك:

"خير الناس من ينفع الناس" تقولها للذي لا ينفع الناس.

تنقسم الكناية باعتبارها الوسائط والسياق إلى أربعة أقسام:

1-التعريض: وهو في اللغة، عكس التصريح ومعناه، أن يطلق الكلام ويشار به الى معنى آخر يفهم من السياق كقوله:"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" تقولها للذي يؤذي المسلين ،فكأنك عنه صفة الإسلام.

2-التلويح: لغة أن تشير إلى غرك عن بعد

واصطلاحا: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض ومثاله قول الخنساء السابق (كثير الرماد)

3-الرمز: لغة: أن تشير إلى قريب منك خفية (نحو الإشارة بالشفة أو الحاجب...)

واصطلاحا: هو الذي قلت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض كقولهم: فلان غليظ الكبد، كناية عن القسوة

عريض الوسادة: كناية عن كثرة النوم(البلاهة)

4-الإيماء أو الإشارة: هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أوَ ما رأيت المجد ألقى رحله *** في آل طلحة ثم لم يتحول

الكناية عن كونهم أمجادا.

المحاضرة السابعة

التشبيـــــــــــه وأضربـــــــــــــه

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل «شبّه» بتضعيف الباء، يقال: شبّهت هذا بهذا تشبيها، أي مثّلته به.

التشبيه اصطلاحا: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام.

وأركان التشبيه أربعة.

(1) المُشبه: هو الأمر الذي يُراد الحاقه بغيره

(2) المُشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه

(3) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه – وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

(4) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تَذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمرُ في رعيَّته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

طرفا التشبيه:

ينقسم طرفا التشبيه (المشبّه والمشبّه به) إلى حسيّين أو عقليين، أو مختلفين.

1 – الطرفان الحسّيان:

وهما اللذان يدركان بإحدى الحواس. ويكونان:

أ– من المبصرات:

إذا كانا يدركان بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما إلى ذلك، كقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء ... تجتليك العيون شرقا وغربا

شبّه الممدوح بالنجم في رفعته وضيائه وذكر العيون آلة البصر التي ترى المشبّه والمشبّه به. فالطرفان حسّيان يقعان تحت البصر.

ومثله تشبيه الخدّ بالورد، وتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الشعر بالليل.

ب– ويكونان من المسموعات،

مثال ذلك تشبيه صوت المغنّي بصوت البلبل،

ج– ويكونان من المذوقات:

ومنه تشبيه الريق بالشهد والخمر، أوتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر،

ويكونان في المشمومات:

كتشبيه رائحة أنفاس الطفل بعطر الزهر.

هـ- ويكونان في الملموسات:

كتشبيه بشرة الطفل الرضيع في النعومة بالحرير

- الطرفان العقليّان:

وهما اللذان يدركان بالعقل والوجدان، والمقصود بالوجدان تلك المشاعر النفسية من ألم، ولذّة، وغضب، ورضا، وسعادة، وشقاء، وما إلى ذلك.

فلو شبّهنا العلم بالحياة كان طرفا التشبيه عقليّين، فلا العلم محسوس ولا الحياة وإنّما يدركان بالعقل وحده.

- أو مختلفان: وذلك بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسيّا، كتشبيه المنيّة بالسبع، والمعقول هو المشبه، والمحسوس هو المشبه به، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم، والمشبه به وهو الخلق عقليّ. ومنه تشبيه العلم بضياء الشمس. ومنه قول شوقي

سقياً لعهدٍ كأكناف الرُّبى رفةً ***أَنَّى ذهبنا وأعطاف الصَّبا لينا

إذِ الزمانُ بنا غيناءُ زاهيةٌ ***ترفُّ أوقاتُنا فيها رَيَاحينا

فقد شبه العهد وهو عقلي بأكناف الربا وهي حسية، وشبه العهد– أيضًا– وهو عقلي بأعطاف الصبا وهي حسية.

كما أنه قد شبه الزمان "وهو عقلي" بغيناء زاهية، أي شجرة خضراء كثيرة الأغصان "وهي حسية" وشبه الأوقات "وهي عقلية" بالرياحين "وهي حسية"

والتشبيه الحسي الذي يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس يدخل فيه أو يلحق به التشبيه «الخيالي». والتشبيه الخيالي هو المركب من أمور كل واحد منها موجود يدرك بالحسّ، لكن هيئته التركيبية ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع، وإنما لها وجود متخيّل أو خيالي.

أدوات التشبيه :

هي ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك بين أمرين، و قد تكون حروفًا، وقد تكون أسماء، وقد تكون أفعالًا؛ فالحروف تتمثل في الكاف، وكأن.

أما الكاف فهي الأصل لبساطتها، وتفيد المشابهة في جميع استعمالاتها، والأصل فيها أن يليها المشبه به كقوله تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} (الرحمن: 24)

وقول الشاعر:

أنت كالشمس في الضياء وإن*** جاوزت كيوانا في علو المكان

وكيوانا: هو اسم لكوكب زحل، فنجد أن لفظ الأعلام في الآية الكريمة، ولفظ الشمس في البيت، قد ولي الكاف، وهما مشبهان بهما، فإن وليها غير المشبه به؛ كان مقدرًا بعدها، كما في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} (البقرة: 19)، فالمشبه به في الآية محذوف تقديره: أو كمثل ذوي صيب؛ لأن الأصل أن يكون التشابه بين المعطوفات فيه تماثل، فهنا عطف، أو عطف {كَصَيِّبٍ} على قوله {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}، فإن وليها غير المشبه به كان مقدرًا بعدها كما في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ} (البقرة: 19)، فنجد أن المشبه به في الآية محذوف تقديره: أو كمثل ذوي صيب بدليل قوله في الآية {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} (البقرة: 19).

وتأتي الأداة أحيانًا اسمًا من أمثال مثل شبه مماثل محاكٍ مشابه مضاهٍ، ونحوها مما يؤدي معنى المشابهة، فإذا كان الاسم جامدًا وليه المشبه به نحو: هذا الرجل مثل الأسد، وشبه البدر، وإن كان مشتقًّا وليه المشبه نحو: أنت مماثل الأسد، ومحاكٍ البدر، ومشابه عمرو، ومضاهٍ حاتمًا؛ فقد ولي الاسم في هذه الأمثلة الضمير العائد على المشبه،

ويأتي كذلك أداة التشبيه فعلًا مثل: شابه وحاكى، ويشابه، ويضاهي، ونحوها من الأفعال المتعدية الدالة على معنى المشابهة، فإذا كانت الأفعال لازمة كتشابه وتماثل؛ فإنها لا تدل على التشبيه، ويلحق بها أفعال الظن والرجحان

وجه الشبه:

هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، أو الصفة الجامعة بينها، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبّه.

مثال:

قصور كالكواكب لامعات*** يكدن يُضئن للسّاري الظلاما

أنواع التشبيه:

التشبيه باعتبار الأداة:

و يقسم البلاغيون التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد:

1 – فالتشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، نحو:

قول الشاعر:

العمر مثل الضيف أو*** كالطيف ليس له إقامة

وقول المتنبي في هجاء إبراهيم بن إسحاق:

وإذا أشار محدثا فكأنه*** قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وإنما سمي هذا القسم مرسلاً، لأنه أرسل عن التأكيد، أي: خلا منه.

2 ـ والتشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه أداة التشبيه، وتأكيد التشبيه حاصل من ادعاء أن المشبه عين المشبه به، وذلك نحو قوله تعالى تصويرا لبعض ما يرى يوم القيامة: وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ أي أن الجبال ترى يوم ينفخ في الصور تمر كمر السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

ومنه شعرا قول المتنبي مادحا:

أين أزمعت أيهذا الهمام*** نحن نبت الرّبا وأنت الغمام

ومن التشبيه المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، بعد حذف الأداة، وتقديم المشبه به على المشبه، كقولك: "لبس محمد رداء العافية".

التشبيه باعتبار وجه الشّبه:

تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى مجمل مفصل

فالمجمل هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه، وهو قسمان:

1- ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه والحلقة في وجه آخر، وكقوله:

إنما الدنيا كبيت *** نسجته العنكبوت

2- خفي لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع، بل يحتاج إلى تأويل كقول كعب بن معدان الأشعري في وصف بني المهلب "هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها"، فهذا يحتاج إلى فضل تأمل ورفق، ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة العامة ودخل في عداد الخاصة.

أما المفصل: هو ما ذكر فيه وجه الشبه، وذلك نحو قول الشاعر:

كم وجوه مثل النهار ضياء*** لنفوس كالليل في الإظلام

فالبيت هنا فيه تشبيهان وجه الشبه في الأول «ضياء» وفي الثاني «الإظلام» وكلاهما مذكور في التشبيه.

وقول آخر:

أنت كالبحر في السماحة، والش*** مس علوا، والبدر في الإشراق

فهذا البيت يشتمل على ثلاثة تشبيهات ذكر في كل منها وجه الشبه، وهو في التشبيه الأول «السماحة» وفي الثاني «العلو» وفي الثالث «الإشراق».

فكل تشبيه من التشبيهات التي تضمنتها هذه الأمثلة تشبيه مفصّل، لأن وجه الشبه قد ذكر فيه.

التشبيه البليغ :

هو ما حُذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه، وذكر فيه الطرفان فقط وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين، وعدم تفضالهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه

به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به، كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة.

وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة، فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس: وأدعى إلى تأثرها واهتزازها،

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤه*** والنبت فيروزج والماء بلور

الأرض ياقوتة «تشبيه بليغ المشبه الارض، والمشبه به ياقوته – وهما حسيان مفردان، ووجه الشبه محذوف، وهو الخضرة في كل، والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه «والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج «والماء بلور» كذلك

وقول الآخر:

فَاقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالاً إِنَّما*** أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الأسْفَارِ

شبّه الأعمار بالسَّفر، على طريقة التشبيه البليغ الذي لم تذكر فيه أَداة التشبيه، ولا وجه الشبه

التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان وَجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد: – حسيا كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه*** يوافى تمام الشهر ثم يغيب

فوجهُ الشبه سرعة الفناء – انتزاعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا، فيصير بدراً، ثم ينقصُ حتى يدركه المحاق

ويسمى تشبيه التمثيل

ومنه قول بشّار بن بُرْد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا*** وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فشبَّه صورة الْغُبَار المثار بحركة القتال والذي تتهاوى داخله أسْياف المقاتلين على أعدائهم بصورة لَيْلٍ تتهاوَى على الأرض كواكبه.

ووجه الشبه الجامع بينهما الهيئة الحاصلة من هُوِيَّ أجرامٍ مشرقة مستطيلة مُتَنَاسبة المقدار، ومتفرقة، في جوانب شيءٍ مظلم، وتظهر فيها الحركة التي زادت التمثيل حسناً.

التشبيه الضمني:

هو تشبيهٌ لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على امكان ما أسند إلى المشبه،

كقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوانُ عليه*** ما لجُرحٍ بميَّت إيلامُ

(أي إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمّله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلا (لأن الميت إذا جرح لا يتألم) ، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

ومن بواعث ذلك التفنّن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه، لأنه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس.

ولنأخذ مثالا لذلك، وهو قول أبي فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم*** وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فهو هنا يريد أن يقول: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام.

فهذا الكلام يوحي بأنه تضمن تشبيها غير مصرّح به؛ فالشاعر يشبّه ضمنا حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عند ما ألّمت بهم الخطوب بحال البدر يطلب عند اشتداد الظلام.

فهو لم يصرّح بهذا التشبيه وإنما أورده في جملة مستقلة وضمنه هذا المعنى في صورة برهان.

ومن أهم مزايا هذا التشبيه ما يأتي:

لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشّبه بشكل صريح.

– لا يرتبط فيه المشبّه بالمشبّه به ارتباطهما المعروف في باقي أنواع التشبيه، بل تلمح بينهما العلاقة من خلال المعنى الذي يكاد يخفيه التشبيه.

– هو أبلغ من غيره، وأنفذ في النفوس والخواطر لاتخاذه جانب التلميح واكتفائه به.

– يكثر وروده في الحكم والمواعظ والأمثال.

– كثيرا ما يأتي في جملتين متواليتين لكلّ منهما معناها المستقل. [40]

التشبيه المقلوب :

لاحظ البيانيون أنّ عاقد التشبيه قد يحلو لهُ أحياناً أن يجعل المشبَّهَ في كلامه مشبّهاً به، ويجعل المشبّه به مُشَبَّهاً، ليَدُلَّ بصنيعه هذا على أنّ وجود وجْهِ الشّبَه في المشبَّه أقوى وأظهر من وجوده في المشبَّهِ به. وقد وضعوا له اسم "التشبيه المقلوب".

ومن نماذجه:

قول محمد بن وُهَيْبِ الْحِميري يمدح الخليفة المأمون:

وبدا الصّباح كأنّ غرّته*** وجه الخليفة حين يمتدح

فالمشبّه هنا هو ضوء الصباح في أول تباشيره، والمشبه به هو وجه الخليفة عند سماعه المديح. فالتشبيه مقلوب، والأصل فيه هو العكس، لأن المألوف أن يشبّه الشيء دائما بما هو أقوى وأوضح منه في وجه الشبه؛ ليكتسب منه قوة ووضوحا. ولكن الشاعر تفننا منه في

[40] علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» 173

التعبير عكس القضية وقلب التشبيه للمبالغة والإغراق بادّعاء أن الشبه أقوى في المشبّه. جعل وَجْه الخليفة كأنه أعرفُ وأشهرُ وأتمُّ وأكملُ في النور والضياء من الصَّباح، فجعل ما هو أصل في الضياء –وهو الصباح– مشبهًا، وما هو فرع فيه –وهو وجه الخليفة– مشبهًا به؛ قصدًا إلى المبالغة في إعلاء شأن المأمون، وتأكيد مدحه بإشراق الوجه.

ومنه قول شاعر آخر:

أحنّ لهم ودونهم فلاة*** كأن فسيحها صدر الحليم

فالشاعر في هذا البيت شبّه فسيح الفلاة بصدر الحليم، فالتشبيه كما ترى مقلوب، إذ المعهود تشبيه صدر الحليم بالفلاة. ولكن الشاعر رغبة منه في المبالغة بادّعاء أن صدر الحليم أفسح من الصحراء عكس التشبيه.

القيمة البلاغية للتشبيه

التشبيه من أوسع ألوان البيان استعمالا وكما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني – يكسو المعاني أبهة، ويكسبها شرفاً، ويرفع من أقدارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ويستميل القلوب إليها، ويستنير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، ويجبر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً.

فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وإن كان ذماً كان مسه أوجع، وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وإن كان افتخاراً كان شأوه أبعد، وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب.

المحاضرة الثامنة :

الاستعـــــــــــارة والكنايـــــــــــة

تعد الاستعارة وهي من المجاز اللغوي بل من أجلّ فنون البيان وأهمها لما تضفيه من جمال على الكلام أشار لها الجاحظ (ت255 هـ) وابن المعتز(ت296 هـ) وأشاد بها عبد القاهر الجرجاني :

اعلم أنّ الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول، وهي أمَدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً، وأذهبُ نَجْداً في الصِّناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْراً، وأملأ بكل ما يملأ صَدْراً، ويُمتع عقلاً، ويُؤْنِس نفساً، ويوفر أُنْساً، وأهدَى إلى أن تُهدِي إليك أبداً عَذَارَى قد تُخُيِّرَ لها الجمال، وعُنِيَ بها الكمال وأن تُخرج لك من بَحْرها جواهرَ إن باهَتْها الجواهرُ مَدَّت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصرُ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسنَ لا تُنكَر..."

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: طلب العارية، والعارية: ما يتداولوه بينهم، فالاستعارة إذن مأخوذة من نحو قولهم: استعرت الشيء استعارة.

فإذا ما استعرت كتابًا من صديق– مثلاً– فأنت مستعير، والصديق مستعار منه، والكتاب: مستعار، وهذه العملية تسمى: استعارة.

فإذا ما أخذت لفظًا موضوعًا في اللغة لشيء ووضعته لشيء آخر كنت قد استعرت ذلك اللفظ، غير أن الاستعارة لا تأتي إلا بعد المبالغة في التشبيه وتناسيه .

أما في اصطلاح البيانيين فالاستعارة: استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب.

وهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللّغوي للكلام، وأصلُها تشبيهٌ حُذِفَ منه المشَبّه وأداةُ التشبه ووجْهُ الشَّبَه، ولم يبق منه إلاَّ ما يدلُّ على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدالّ على المشبَّه به، أو استعارة بعض مشتقّاته، أوْ بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبَّه، مُلاَحَظاً في هذا الاستعمال ادّعاءُ أنَّ المشبَّه داخل في جنس أو نوع أو صِنْف المشبّه به، بسبب مشاركته له في الصفة الّتي هي وجه الشَّبَهِ بينهما،

ولعلنا نلحظ من ذلك صلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة ومعناها المجازي، إذ لا يستعار أحد اللفظين للآخر في واقع الأمر إلا إذا كان هناك صلة معنوية تجمع بينهما.

أركان الاستعارة:

1– المستعار منه، وهو ذات المشبه به .

2- المستعار له، وهو ذات المشبه.

3- المستعار .[41]

تنقسم الاستعارة انقساماً أوليّاً إلى قسمين:

القسم الأول: الاستعارة في اللّفظ المفرد، وهي التي يكون المستَعارُ فيها لفظاً مفرداً،

القسم الثاني: الاستعارة في اللّفظ المركّب، وهي الّتي يكون اللَّفْظُ المستعار فيها كلاماً مركباً من عدّة ألفاظ مفردة.

اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (ص: 173)

والاستعارة قسمان: مصرحة ومكنيةٌ.

القسم الأول: الاستعارة التصريحية وهي الّتي يُصَرَّحُ فيها بذات اللّفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيهاً، قبل أن تُحْذَف أركانه باستثناء المشبَّهِ به، أو بعض صفاته أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنيّة القريبة أو البعيدة، مثل:

(1) وقف الغضنفر على المنبر، وارتجل خُطْبَتَهُ العصماء، على عِلْيَةِ القوم والدّهماء.

إنّ كلمة "الغضنفر" التي هي بمعنى "الأسد" قد استعيرت بذاتها من الحيوان المفترس، وأُطْلِقَتْ على الأمير المبعوث لقومٍ أهل شقاق وخلاف.

[41] البلاغة العربية (2/ 235)

فهي في هذا المثال استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بذات اللّفظ المستعار.

القسم الثاني المكنيةُ: وهي التي حذف فيها المشبهُ به ورمز إليه بشيء من لوازمه كقوله:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

استعار الوحش المفترس للمنية ثم حذفهُ وكنى عنه بشيء من لوازمه وهو إنشابُ الأظافر على سبيل الاستعارة المكنية.

أما باعتبار اللفظ فقد قسموا إلى الاستعارة إلى قسمين :

أصلية

– استعارة أصلية، وهي ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس، وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلا نحو أسد، وقتل إذا استعير للشجاع والضرب الشديد، ونحو: حاتم وقس من قولك: رأيت اليوم حاتما، وسمعت اليوم قسا يخطب، ومثلهما كل ما شاكلهما من الأعلام التي اشتهرت مسمياتها بوصفية.

وإجراء الاستعارة في مثل هذا أن يقال شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل، واستعير لفظ الأسد الشجاع على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وشبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم في كل، واستعير لفظ حاتم للكريم استعارة تصريحية أصلية.

2– استعارة تبعية، وهي ما يكون المستعار فيها:

1- فعلا 2- اسما مشتقا 3- حرفا.[42]

فالأول، نحو: عضنا الدهر بنابه، فقد وقع المصائب بالعض بجامع الإيلام

في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض بمعنى الإيلام عض بمعنى آلم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

هذا إذا كان التجوز في الفعل باعتبار حدثه، فإن كان باعتبار زمانه كان التغاير بين المصدرين باعتبار القيدين نحو: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} 1، أي: ينادي فيقال شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق وقوعها، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، واشتق منه نادى بمعنى ينادي على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

والثاني نحو: جليل عملك ناطق بفضلك، شبهت الدلالة بالنطق بجامع إفهام الغرض في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من النطق بمعنى الدلالة ناطق بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} 2، فالمرقد مكان الرقاد استعير للقبر بجامع خفاء الأثر في كل، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت مرقد بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة تصريحية تبعية.

والثالث، نحو: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} 3، فقد شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الغائية عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعيرت اللام الموضوعة لكل جزئي من

[42] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 274 وما بعدها..)

جزئيات العلة الغائية كالمحبة والتبني للام التي تدل على العداوة والحزن استعارة تصريحية تبعية، وإلى هذا يشير قول الزمخشري: معنى التعليل في اللام وارد على طريق المجاز؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله.

ثم قال: وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد.

الاستعارة باعتبار الملائم

ذكرنا فيما سبق أن الاستعارة تنقسم باعتبار طرفيها إلى تصريحية ومكنية، وباعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية، وهنا نذكر أنها تقسم باعتبار الملائم تقسيما ثالثا إلى مرشحة، ومجردة، ومطلقة.

1 – فالاستعارة المرشحة: هي ما ذكر معها ملائم المشبه به، أي المستعار منه.

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ.

ففي هذه الآية الكريمة استعارة تصريحية في لفظة «اشتروا» فقد استعير «الاشتراء» «للاختيار» بجامع أحسن الفائدة في كل، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «الضلالة».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه علم البيان (ص: 187)

هـ «الاشتراء»، وهذا الشيء هو «فما ربحت تجارتهم». ومن أجل ذلك تسمى «استعارة مرشحة» ..

ومن أمثلة الاستعارة المرشحة أيضا قول الشاعر:

إذا ما الدهر جرّ على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا

ففي هذا البيت استعارة مكنية في «الدهر» فقد شبه الدهر بجمل ثم حذف المشبه به «الجمل» ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «الكلاكل»، وقد تمت لهذه الاستعارة قرينتها وهي «إثبات الكلاكل للدهر».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة المكنية التي استوفت قرينتها رأينا أنها قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به «الجمل»، وهذا الشيء هو «أناخ بآخرينا». ولهذا تسمى استعارة «مرشحة».

من ذلك يتضح أن الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية إذا استوفت قرينتها وذكر معها ما يلائم المشبه به فإنها تسمى استعارة «مرشحة».[43]

2 – والاستعارة المجردة: هي ما ذكر معها ملائم المشبه، أي المستعار له.

أ– ومن أمثلة ذلك قول القائل: «لا تتفكهوا بأعراض الناس، فشرّ الخلق الغيبة».

[43] ينظر علم البيان (ص: 186وما بعدها)

ففي قوله: «لا تتفكهوا» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبّه «التكلم في الأعراض «بالتفكه» بجامع أن بعض النفوس قد تميل إلى كل، ثم اشتق من «التفكه» تفكه بمعنى تكلم في العرض، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «بأعراض الناس».

وإذا تأملنا الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه «التكلم في الأعراض»، وهذا الشيء هو «فشرّ الخلق الغيبة» ولهذا السبب يقال إن الاستعارة «مجردة».

والاستعارة المطلقة: هي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المشبه به والمشبه معا.

أ- فمن أمثلة الاستعارة المطلقة قوله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ. ففي لفظة «طغى» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبّه فيها «الزيادة» «بالطغيان» بجامع تجاوز الحد في كل، ثمّ اشتقّ من «الطغيان» الفعل طغى بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي «الماء».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة بعد استيفاء قرينتها رأيناها خالية مما يلائم المشبه به والمشبه. ولهذا تسمى استعارة «مطلقة».

ب- ومن أمثلتها أيضا قول المتنبي يخاطب ممدوحه:

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ... ليث الشرى يا حمام يا رجل

ففي هذا البيت استعارة تصريحية في كل من: «بدر» و «بحر»

و «غمامة» و «ليث الشرى» و «حمام». فالمشبه هنا الممدوح، والمشبه به هو «البدر» مرة، و «البحر» مرة ثانية، و «الغمامة» مرة ثالثة، و «ليث الشرى» مرة رابعة، و «الحمام» مرة خامسة. والقرينة في كل استعارة هي النداء.

إذا تأملنا كل استعارة من هذه الاستعارات بعد استيفاء قرينتها رأيناها كذلك خالية مما يلائم المشبه به والمشبه. ولهذا السبب تسمى استعارة «مطلقة».

لاستعارة في المركب: هي كما سبق بيانُه في المقدِّمة استعارة يكون اللّفظ المستعار فيها لفظاً مُرَكَّباً، وهذا اللّفظ المركب يستعمل في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصليّ، ويسمّى "الاستعارة التمثيليّة" وقد يطلق عليه "الاستعارة على سبيل التمثيل" أو نحو ذلك من عبارات[44].

وهذه الاستعارة شائعة في الأمثال السائرة نثرا وشعرا ومن خصائصها:

- حذف المشبّه عادة.

- وحذف أداة التشبيه.

ومن نماذجها:

البلاغة العربية (2/ 266)

[44] البلاغة العربية (2/ 265) وعلوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 212)

قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ مرَّتَيْن" هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل "الاستعارة التمثيليّة" للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة في نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود.

يقال فيمن يعمل عملاً لا جدوى منه، ويَبْذُلُ فيه جَهْداً ضائعاً:

* "ينْفُخُ في رماد".

* "تَضْرِبُ في حَدِيدٍ بارِد".

* "يَحْرُثُ في البحر".

ومنها أيضا قول المتنبّي:

ومن يك ذا فم مرّ مريض*** يجد مرّا به الماء الزلالا.

يصاب الإنسان المريض بمرارة في فمه حتى إذا شرب الماء العذب تذوّقه مرّا كالحنظل. ولكنّه لم يقصد هذا المعنى الظاهر من البيت بل قصد فيه حسادّه وعائبي شعره فنسب هذا العيب الى ذوقهم الشعرّي المريض وضعف إدراكهم الأدبي. فالمشبّه هنا حال حسّاده والمشبّه به حال المريض الذي يجد الماء الزّلال مرّا. لهذا كانت الاستعارة تمثيلية.

مكان الاستعارة من البلاغة

الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.

وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية على أنّها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنّها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية، فإنّهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأوّل ما يوردون.

وكما يقول عبد القاهر الجرجاني إنّ فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنّها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد ...

ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها: أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .